ملف خاص بصوت البصرة

المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الشؤون الثقافية والنشر
الجمهورية العراقية

المجلد الرابع عشر - العدد الثالث ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

٣

WWW.ATTAWEEL.COM

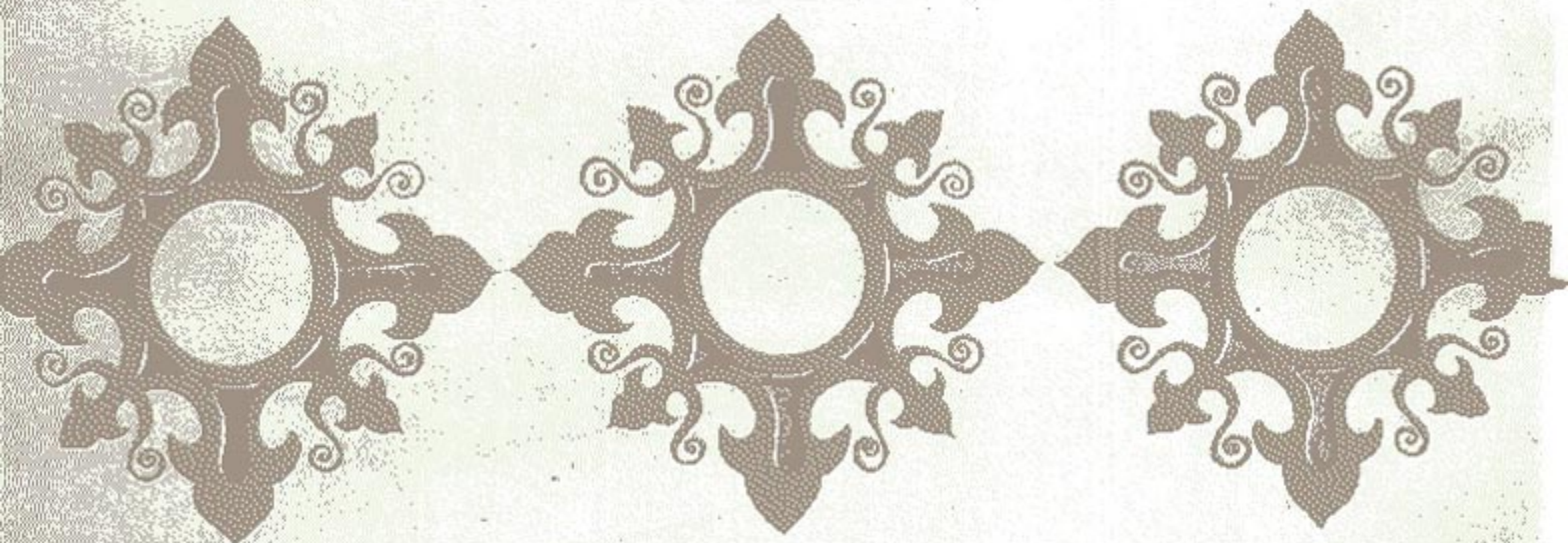

أسعد الحكيم محمد

صمود البصرة

اثناء حصار نادرشاه سنة ١٧٤٣(*)

الدكتور

عماد عبد السلام رؤوف

مركز احياء التراث العلمي العربي

تعتبر حروب نادر شاه في العراق ، في الفترة الممتدة من ١٧٢٥ الى ١٧٤٣ (١١٣٨ ـ ١١٥٦هـ) من المراحل الفاصلة في تاريخ العراق الحديث ، فقد تركت تلك الحروب اثارا بعيدة المدى في تطور العراق السياسي ابان ذلك العهد . وتسببت في احداث تغييرات مهمة في تكوينه الاجتماعي ، فشكلت تلك الحروب ، وما خلفته من نتائج ، نهاية ما عرف بالعهد العثماني الثاني في العراق عام ١٧٤٩ (١١٦٢هـ)(١) وكان لها تاثير هام في تشكيل حكومة المماليك التالية(٢) حين نبهت الانظار الى ضرورة انشاء نظام اداري وعسكري متين قمين بالمحافظة على البلاد ، فضلا عن تركها الكثير من ذكريات الصمود المشتركة لدى العراقيين ، مما كان له دور في تعزيز الشعور القومي العام وتاكيد الروح الوطنية في البلاد .

بدا نادرشاه غزواته على المدن العراقية ، بعد ان تمكن من تصفية الامور في ايران لصالحه ، باعلانه عن عزل الشاه الصفوي الذي بدأ حياته العامة بخدمته(٣) ونصب ابنه الطفل مكانه ليحكم هو باسمه(٤) وكانت الدولة العثمانية ممثلة بولاة بغداد تحكم اجزاء واسعة من ايران ، نتيجة لحروب والي بغداد حسن باشا وابنه احمد باشا في السنوات المبرمة في اعقابها (٥) فتمكن نادرشاه من استعادة المدن الايرانية المهمة : همدان وكرمنشاه واردلان من قبضة ولاة بغداد سنة ١٧٣٢ (١١٤٥هـ)(٦) وشجعه ذلك النجاح على المضي في سياسته المناوئة للعراق ، فتوغل بجيشه البالغ نحو ١٠٠،٠٠٠ جندي وحاصر بغداد سنة ١٧٣٣ (١١٤٦هـ)(٧) وارسل حملة الى الموصل « لتخريب قراها وتضييقها ومضايقة اهلها »(٨) الا انها اندحرت امام القوات الموصلية وتشتت فواها، وحملة اخرى مسندةبقوة بحرية لغزو البصرة ، فشلت هي الاخرى في مهمتها(٩) وهكذا فشلت المرحلة الاولى من حروب نادرشاه ازاء صمود المدن العراقية ؛ وعقدت معاهدة صلح سنة ١٧٣٦ (١١٤٨هـ) لتعيد الحدود الى خطوطها التقليدية(١٠) .

وفي السنوات التالية ، انصرف نادرشاه الى غزو بلاد الهند فتم له ضم تلك البلاد الى امبراطوريته

(*) لقد سبق للباحث ان عالج احداث هذا الحصار في بحث نشر سنة ١٩٧٧ في مجلة الاستاذ ، وهذا البحث هو اعادة كتابه له مع تغييرات ضرورية . (عماد عبدالسلام رؤوف) .

WWW.ATTAWEEL.COM

التوسعية ، وبلغ به الزهو حدا أهله لعزل الشاه الطفل واعلان نفسه شاها على ايران وتوابعها(١١) .

وفي سنة ١٧٤٣ اتخذ نادرشاه من رفض الدولة العثمانية بعض مطالبه ذريعة لاعادة الهجوم على الاراضي العراقية ، فحاصر بغداد حصارا شديدا بجيش كثيف حسن التسلح ، وانطلق بنفسه على راس معظم قواته الى الموصل ليحتلها ، كما انه ارسل حملة عسكرية اخرى لغزو البصرة . ومثلما حدث في المرة الاولى فشلت حملاته هذه كلها ، اذ صمدت بغداد صمودا بطوليا بقيادة واليها احمد باشا ستة شهور عجاف(١٢) ، بينما واجهت الموصل بقيادة واليها الشجاع الحاج حسين باشا الجليلي ، معظم قواته الضاربة فحوصرت مدة اربعة شهور قصفت في اثنائها بالمدفعية الثقيلة قصفا مركزا وحرمت من مصادر المياه(١٣) ، الا ان الموصل مثل بغداد نجحت في صمودها البطولي ، مما ادى بنادرشاه الى اعلان انسحابه وتنازله رسميا عن مطالبه السابقة ، وعقد معاهدة معتدلة دامت قائمة حتى وفاته سنة ١٧٤٧(١٤) .

وفي الوقت الذي تمدنا فيه المصادر التاريخية بمعلومات موسعة نسبيا عن حروب نادرشاه واعماله العسكرية في وسط العراق وشماله نجدها تكاد تسكت عن فصل آخر مهم من فصول عملياته تلك ، وهو حصاره للبصرة ، ثغر العراق والمدينة الثانية في ولاية بغداد آنذاك ، في النصف الاخير من عام ١٧٤٣ (١١٥٦ هـ) .

نظرة في المصادر :

ان المصدر الرئيس لوصف مجريات حصار البصرة هو الرسائل التي كتبها المقيم البريطاني في البصرة توماس دورل Thomas Dorill (١٧٣٩ ـ ١٧٤٦) الى رؤسائه في لندن والهند . فقد دون فيها التفصيلات بشان الحصار وارخ احداثه . وسنرى ان لدورل دورا مهما في الحصار المذكور ، وتعد رسائل دورل هذه المصدر الاساس لما كتبه لوكهارت ولوريمر عند تعرضهم الى احداث الحصار .

وترك لنا اوتر Otter وهو سائح فرنسي كان في البصرة سنة ١٧٤٣ ، وصفا قصيرا لمجريات الحصار ، وفي مدونات البعثة الكرملية في البصرة معلومات أخرى عن الموضوع نفسه ، أستغلها لوكهارت في دراسته عن نادرشاه .

اما المصادر الفارسية الرسمية ، وهي مؤلفات محمد مهدي خان الاسترابادي مؤرخ ناردشاه الرسمي فلم تحتو الا على اشارات محدودة ولعل ذلك يرجع الى ان غزو البصرة لم يكن بقياده نادرشاه مباشرة كغزوه بغداد والموصل ، ومن ثم فان محمد مهدي خان لم يحضرها بنفسه ، وعلى اية حال فاننا نجد معلوماته في كتابه (جهانكشاي نادري) اكثر تفصيلا ـ ولو نسبيا ـ من كتابه الاخر المسمى درة نادرة ، كما ان في كتاب تاريخ خوزستان لكسروي تبريزي معلومات اخرى يمكن ان نعتبرها مكملة لما دونه محمد مهدي خان ايضا .

وثمة اشارات محدودة في المؤلفات التركية كتاريخ صبحي ، وهو من المصادر الرسمية المعاصرة ويعد مصدرا وحيدا للمؤلفات التركية المتاخرة مثل كلشن معارف وغيره .

اما المصادر المحلية العراقية فاهمها ما كتبه المؤرخ الشيخ عبدالرحمن السويدي في « حديقة الزوراء » ورسول حاوي الكركوكلي في « دوحة الوزراء » ولا يزيد ما كتبه كل منهما على اسطر معدودات ، مع ان السويدي كان معاصرا للاحداث وقد افاض في وصف حصار بغداد في الفترة ذاتها وان الكركوكلي كان قريبا ـ من حيث الزمن ـ من الحصار ، ومطلعا على الوثائق الرسمية المتعلقة بعصره اطلاعا حسنا .

ولقد عثرنا على نصوص الوثائق الرسمية المتبادلة بين الطرفين ، الايراني والعراقي ، في اثناء الحصار ، وهي اربع رسائل خطية ، كتبت الاولى على لسان سردار الجيش الايراني خواجه خان ، وفيما يدعو متسلم البصرة رستم اغا الى تسليم مدينته دون مقاومة ، وكتبت الثانية ردا من متسلم البصرة داعيا بها على الرسالة السابقة ، وفيها رفض قاطع لفكرة التسليم ، وتصميم على الدفاع عن مدينتهم الى آخر رمق . اما الرسالة الثالثة فقد حررت عن لسان الوالي عبدالله فرج الله امير الحويزة (١٥) وهي رسالة مطولة فيها تاكيد على معنى الرسالة الاولى ، ومحاولات لاقناع البصريين بالاستسلام ، وتاريخها شعبان سنة ١١٥٦ (آب ١٧٤٣ م) . والرسالة الرابعة عبارة عن رد

البصريين الاخير على دعوة امير الحويزة وهو رد كسابقه ـ يرفض التفريط بالمدينة تحت اي ترغيب او ترهيب(١٦) .

وبالاضافة الى اهمية هذه الوثائق في ذاتها ، فانها تكشف عن بعض الوقائع والاحداث ، وتبين موقف اهل البصرة وحكومتها ، وفيها من معاني الاباء والصمود الشيء الكثير .

اهداف الحصار :

كان هدف نادرشاه من حصار البصرة جزءا من اهدافه العامة التي حاول تحقيقها من وراء عملياته العسكرية في العراق سنة١٧٤٣ ، وكانت هذه الاهداف تتراوح ، في راينا ، بين امرين :

الاول : الاستيلاء على مدن العراق الرئيسة لارغام الدولة العثمانية على توقيع معاهدة سياسية تكون شروطها في صالح حكومة نادرشاه .

الثاني : ضم الاقليم بكامله الى امبراطوريته اتوسعية ، كما هو الحال في اقاليم بلاد الهند ، خاصة وان حملات نادرشاه سنة ١٧٤٣ على العراق جاءت بعد انتصاراته في الهند مباشرة واستيلائه على مناطق واسعة من اقاليمها واقاليم تركستان وما وراء النهر (سنة ١٧٤٠) .

ورغم ان الخطة السوقية العامة لنادرشاه كانت توازن ـ دائما ـ بين الهدفين ، او تزاوج بينهما ، على حسب مقتضى الحال الا اننا نميل ـ من استقراء حروب ١٧٤٣ ـ الى انها كانت اقرب الى تحقيق الهدف الاخير . وهو الهدف الذي كان له التاثير المباشر على سير العمليات العسكرية العامة في العراق ، ومن ثم على حصار البصرة المذكورة ذاتها ، وتفصيل ذلك ان القوات الفارسية التي اجتازت حدود ولاية بغداد الشرقية في محور خانقين ـ بغداد ، والتي قدرت بعض المصادر حجمها بعدد هائل بلغ نحو ٣٠٠٫٠٠٠ جندي(١٧) كانت معدة اصلا للصمود شمالا للاستيلاء على طريق شهرزور القديم بمدينتيه السوقيتين : كركوك واربيل ، والتقدم من هناك للاستيلاء على الموصل تمهيدا للتوغل غربا باتجاه الاقاليم الاخرى للدولة العثمانية كالجزيرة وديار بكر وما خلفها(١٨) . وكان الاستيلاء على بغداد ـ على ثقلها الكبير ـ يمثل هدفا ذا قيمة تاريخية ومعنوية ، اكثر من كونه هدفا سوقيا عسكريا ، اللهم الا بصفته ارباكا لطرق المواصلات في العراق ، وحماية لظهر القوات المتجهة الى شمالي البلاد وغربيها ، وهذا وحده يفسر سبب ترك نادر شاه لبغداد محاصرة ببعض قواته ، واتجاهه الى الموصل على راس اكثر من نصف قواته ٧٠٫٠٠٠ جندي في بعض الروايات(١٩) . وعلى هذا النحو ينبغي ان نضع عملية حصار البصرة في موضعها المناسب من العمليات العسكرية التي جرت في العراق ، حتى ان بعض المعاصرين لاحظ بان هدف الحصار كان ـ بالدرجة الاولى ـ « الهاء » و « اشغال » ثغر العراق(٢٠) وبثما تتم تصفية المقاومات العسكرية في الشمال .

وفيما يتعلق الامر بحكومة البصرة ، فقد كان الهدف ينحصر باطالة فترة الصمود الى اقصى مدة ممكنة ، باتخاذ خطة دفاعية محكمة وصولا الى احد امرين :

الاول : فسح المجال امام حكومة الدولة العثمانية لان ترسل مددا عسكريا يكون من شانه انقاذ المدينة ، ورفع حالة الحصار بالقوة العسكرية. وهذا ما لمح اليه المدافعون في اثناء المراسلات الرسمية المتعلقة بالحصار .

الثاني : انتظار ان تتطور الظروف العامة بين الدولتين العثمانية والايرانية الى حد عقد معاهدة صلح يتم على اساسها انسحاب قوات الاخيرة ،ورفع حالة الحصار سلميا .

وسنجد ان حكومة البصرة نجحت فعلا في تحقيق الهدف الاخير .

قوات الطرفين :

١ ـ القوات الايرانية

تذهب الروايات المحلية(٢١) الى ان قوات الجانب الايراني ، التي حاصرت البصرة ، كانت تبلغ نحو ٩٠٫٠٠٠ مقاتل ، وهو رقم كبير لايخلو من مبالغة لان معظم المصادر الفارسية نفسها تهمل الاشارة الى عملية البصرة عند تفصيلها بشان حملات نادرشاه الاخرى ، مما يدل على عدم مكافاة هذه الحملة ـ من حيث الاهمية والحجم لتلك الحملات ، كما ان السائح اوتر Otter الذي مر بالبصرة آنذاك ، يعطينا تقديرا اقل ، حيث نص على ان القوات المهاجمة كانت تبلغ نحو ٣٠٫٠٠٠(٢٢) ، في حين تذهب يوميات معاصرة ،

كُتبت في اثناء الحصار الى أن حجم تلك القوات كان يتراوح بين ١٢٫٠٠٠ و ١٥٫٠٠٠ جندي(٢٤)

ويظهر ان سبب الاختلاف في تقدير حجم القوات المذكورة متأت من عدم تمييز المعاصرين بين القوات النظامية فيها ، والقوات القبلية التابعة لها او الموالية ، اذ يبدو ان معظم تلك القوات كان يغلب عليه الطابع القبلي ، وان التقديرات المرتفعة لعددها كانت تدخل في ضمن هذه القوات قوى تلك القبائل نفسها .

وتشير المصادر الفارسية المعاصرة(٢٤) الى ان تركيب تلك القوات كان على النحو التالي :

١ ـ قوات من الحويزة
٢ ـ قوات شيراز
٣ ـ قوات شوشتر
٤ ـ قوات الفيلية
٥ ـ قوات دسبول
٦ ـ قوات قبلية اخرى .

وكانت قيادة هذه القوات بامرة قائد عام (سردار) من فواد نادرشاه البارزين ، هو خوجه (او خواجة)(٢٥) خان شيخانلو ، من عشيرة (جمشكزك) التي كانت موضع اعتماد نادرشاه في عملياته العسكرية(٢٦) .

ولم يكن هذا الجيش حسن التسليح فيما يبدو ، فقد كانت تعوزه المدفعية الثقيلة (٢٧) مما كان يستخدم ـ عادة ـ في دك الحصون وفتح الثغرات في الاسوار . هذا في حين كانت قوات نادرشاه الاخرى وبخاصة التي حاصرت الموصل مزودة باعداد كبيرة متنوعة من المدافع الثقلية ، وبوسائط الحصار والاقتحام وكميات ضخمة من القنابل والمتفجرات والالغام (٢٨) وسنرى ان تزويد القوات الايرانية بمثل تلك المدافع لم يكن الا في الايام الاخيرة من الحصار .

وفضلا عن ذلك فقد كانت القوات المعتدية مزودة بدروع خفيفة(٢٩) ليست لدينا تفاصيل عن انواعها ومدى تاثيرها .

ب ـ قوات البصرة

ليست ثمة معلومات عن حجم القوات المسلحة التي اوكل اليها امر الدفاع عن مدينة البصرة ، فذلك مما لم يذكره احد ، وان كنا نعلم بان جميع الضباط الانكشاريين وجنودهم لم يكونوا يؤلفون فرقة اورطة واحدة بمعنى انهم كانوا يقلون عن ٥٠٠ انكشاري وهو عدد افراد الفرقة عادة(٣٠) وهذا الرقم متواضع للغاية ، على ان التقدير المذكور يجب ان لا يؤخذ كحقيقة وحيدة في هذا الصدد ، فان عدد سكان مدينة البصرة كان يتراوح ابان ذلك العهد بين ٥٠٫٠٠٠ و ٦٠٫٠٠٠ و ٧٠٫٠٠٠(٣١) نسمة ، واذا افترضنا ـ تبعا للقاعدة المعروفة في هذا الشان ـ ان خمس هذا العدد كان ممن يستطيع حمل السلاح واستخدامه فان حجم القوات التي قدر لها ان تدافع عن مدينتها سيتضخم ـ بسرعة ـ ليتراوح بين ١٢٫٠٠٠ و ١٥٫٠٠٠ مقاتل على اقل تقدير ، وهو عدد قريب من عدد القوات الهاجمة كما لاحظنا من قبل .

وبالاضافة الى ما تقدم ، فقد كانت تحصينات المدينة مزودة بعشرة مدافع برونزية ثقيلة ، الا اننا لانعلم ما اذا كان بعضها معطلا اثناء الحصار نفسه(٣٢)

وكان للبصرة قوة بحرية مؤلفة من زوارق خفيفة وسفن من النوع المسمى (تكنات) وهي مطلية بالقار ، وذات قعر مسطح(٣٣) ويبدو ان هذه السفن كانت ضعيفة وقليلة الجدوى اذ ليست ثمة اخبار عن مساهمتها في الدفاع عن البصرة . وكان رستم اغا متسلم البصرة قد ارسل سفينة من نوع (Galley)(٣٤) الى اسفل شط العرب كمحاولة لمنع الجيش الايراني من العبور الى الضفة الغربية(٣٥) ولكن فشل المحاولة دل على ضعف هذه القوة البحرية وعدم فعاليتها في معارك تعبوية سريعة .

وبما انه كان للمقيمية البريطانية في البصرة سفينة شراعية صغيرة تابعة لشركة الهند الشرقية البريطانية فقد شعر المقيم البريطاني توماس دورل باحتمال استيلاء حكومة البصرة على هذه السفينة لاستخدامها في الدفاع عن المدينة كما سبق ان حدث من قبل لسفينتي الشركة سنة ١٧٣٥ (١١٤٨)(٣٦) فاصدر اوامره الى قائد السفينة بالابحار ليلا الى القطيف ضمانا لعدم استخدامها في الدفاع عن البصرة . وما ان اكتشف المتسلم رحيل السفينة المذكورة حتى اتهم دورل بالتواطؤ مع الفرس ، وفي الوقت نفسه ، فان ملاح السفينة (وكان بصريا على الاغلب) رفض الانصياع لاوامر قائدها البريطاني ، قبل ان تمضي في البحر بعيدا ، مرغما

أياه على العوده الى البصرة ، على ان ذلك لم يغير من موقف دورل ، فرفض ـ بعناد ـ طلب المتسلم تمبئة السفينه للمشاركة في الحرب ، فما كان من المتسلم الا ان اصدر اوامره باعتقال دورل ومساعده دانفرز كرافز Danvers Graves ووضعهما تحت حراسة الانكشارية في خيمه نصبت على سور المدينة وبعد يومين من الاعتقال . ادرك عدم جدوى العناد فتظاهر بالموافقة على تسليم السفينة في نفس الوقت الذي امر فيه سرا قائد السفينة بتخريبها عند اي طارىء .

وقد نفذ القائد هذه الاوامر فعلا ؛ فاحدث في سفينته خروقا اعاقتها عن المضي في مهمتها فاضطرت حكومة البصرة الى الموافقة على نجونها الى الشاطىء(٣٧) .

ويمكننا ان نستنتج من الاهتمام الشديد الذي اولته هذه الحكومة بسفينة الشركة ، انها كانت تفتقر الى سفن جيدة من نوعها يمكن استخدامها في ضرب الغزاة ، وبهذا فان الذي تولى مهمة الدفاع عن مدينة البصرة كانت قواتها البرية واهل البصرة وحدهم .

دفاعات البصرة :

اتخذت مدينة البصرة ، في تضاعيف القرن الثامن عشر ، شكل مستطيل تقريبا يحد ضلعه الشرقي شط العرب ، والغربي البادية ، في حين كان يحد ضلعه الاعلى والاسفل اراض زراعية ، وبساتين نخيل كثيفة ، تقطعها مجموعة من الانهار الصغار الآخذة من شط العرب(٣٨) .

ولم تكن البصرة محصنة تحصينا جيدا على اية حال ، وجميع ما وصفت به آنذاك يؤكد على انها كانت نموذجا للموقع العسكري الضعيف حيث تفتقر الى دفاعات صناعية كافية ، فضلا عن عدم وجود سواتر طبيعية مناسبة يمكن استخدامها في عمليات الدفاع . وكانت على ما وصفت به قبل الحصار واسعة المساحة الى حد كبير ، على نحو لايتناسب مع كثافة سكانها وليس لها الا سور مشيد باللبن ، قد مضى على تشييده نحو قرن ، ولم يكن هذا السور مزودا بتحصينات سوى بعدد من الطوابي الترابية فقط(٣٩) .

وكان الطول الملحوظ لاسوار المدينة ، ووجود مناطق شاسعة خالية داخلها يسبب مشكلة دفاعية حقيقيه ، حيث يبلغ طول هذه الاسوار الممتده من ضفه النهر الى الصحراء زهاء اربعة اميال وهي على ما راها بعض السياح بعد الحصار بنحو ربع قرن ، ضعيفة جدا غير قادرة على الصمود في وجه المدفعيه(٤٠) . يضاف الى ذلك ان دور البصره كانت ـ على خلاف مدن العراق الكبيره الاخرى ـ مشيده في معظمها من اللبن النيىء ومسقفه بقطع من جذوع النخيل(٤١) وهما مادتان سريعتا التعطب والتقفعند تعرض المدينة الى قصف مدفعي شديد(٤٢) .

وكان احصن مواضع البصرة وامنعها الموضع المعروف بالمناوى ، وهو حصن داخلي واقع في شرقي المدينة ، على ضفة شط العرب ، فيه مسكن قائد البحرية (القبودان)(٤٣) ، بيد ان احصن دفاعات هذا الحصن كان المطل على النهر ؛ اما جهاته الاخرى فلم تكن على حظ من المنعة(٤٤) ، وبما ان استعدادات الحصن المذكور كانت بحرية بالدرجه الاولى فلم يكن له تاثير كبير على سير احداث الحصار . وكانت البصرة في هذه الفترة قد ادمجت بولاية بغداد ذاتها(٤٥) ، بعد ان كانت سابقا ولاية مستقلة . وكان يتولى الحكم فيها ـ عادة ـ نائب عن والي بغداد يدعى بالمتسلم يعاونه مجلس من اعيان المدينة ذوي النفوذ ، يتالف غالبا من نقيب الاشراف ، ومفتي المدينة ، وبعض الرجال المهمين في الولاية ، وكان على الجميع ان يصدروا اوامرهم متكافلين لكي يضمنوا تطبيقها على الوجه السليم(٤٦) . وفي اثناء فترة الحصار كان متسلم البصرة هو رستم اغا(٤٧) يعاونه عدد من الاعيان البارزين ممن وردت اسماؤهم في المراسلات الرسمية التي دارت بين الطرفين خلال الحصار وهم :

١ ـ نقيب الاشراف السيد درويش بن السيد يعقوب الرفاعي

٢ ـ مفتي المدينة ابراهيم المفتي

٤ ـ السيد طالب (وكان يتولى منصب رئيس القوافل : كروان باشي)

ولم يكن رستم اغا يقطع امرا الا بعد مشاورة اولئك الاعيان ، وليس ادل على اهميتهم ، بوصفهم زعماء الشعب وقادته ، ان رسالة حاكم الحويزة الى البصرة كانت موجهة اصلا اليهم ، مسمية اياهم باسمائهم متجاهلة ـ في ذلك ـ رستم اغا متسلم البصرة نفسه .

الزحـــــف :

تجمعت قـوات الحملة الايرانية في مدينـة الحويـزة ، عاصمة الامـارة المشعشعية في الاحـواز(٤٨) . وفي ١٦ تمـوز ١٧٤٣ (جمادي الاخرة سنة ١١٥٦ هـ) ارسل السردار توجه خان انذارا رسميا باسمه الى رستم اغا متسلم البصرة يطلب فيه تسليم المدينة الى القوات الغازيـة ، مرغبا اياه بنيل رضى نادر شاه ورحمته ، ومطالبا بسرعة رد الجـواب .

وعند وصول الانذار الى البصـرة ، عقـد متسلمها مجلسا من اعيان المدينة حضره الشيخ درويش نقيب الاشراف ، والشيخ ابراهيم وغيرهم لمناقشة فحوى الانذار والاتفاق على صيغة الجواب وبعد بضعة ايام من المداولة ، اتفق الجميع على رفض مطاليب السردار رفضا قاطعا واعلامـه بتصميم اهل البصرة على المنافحة عن مدينتهم مهما كان الثـمن .

وبعد ان تسلمت القيادة الايرانية هذا الرد الابي ، تحرك الجيش الايراني مـن قاعدتـه في الحويزة قاصدا غزو البصرة ، حسب اوامـر نادر شاه الصادرة بهـذا الشان .

وبدلا من ان يسلك الجيش الطريق الاقصر فيجتاز الحدود عند مدينة الحويزة الى حوض دجلة ، ثم ينحدر من هناك الى القرنة(٤٩) فمدينة البصرة ذاتها . حيث يبلغ طول هذا الطريق نحو ١٠٠ كيلو متر ، فقد سلك الجيش طريقا آخرا اطول من سابقه اذ تقدم في اراضي الحويزة حتى وصل ـ فيما يظهر ـ المنطقة التي اقيمت عليها فيما بعد مدينة المحمرة(٥٠) ، بينما انفصلت منه قوة اتجهت الى المنطقة المقابلة للبصرة من الجانب الشرقي ، فاستولت هناك على قلعة (كردلان) المواجهة لمدينة البصرة ذاتها(٥١) .

ومـن منطقة المحمـرة اجتازت القوات الايرانية نهر شط العرب على جسر من القوارب شيد لهذا الغرض ، او بواسطة السفن(٥٢) ، وبعد اتمام عملية العبور الى الضفة الغربية من الشط ، واصل الجيش تقدمه بمحاذاة النهر ، فاستولى على قريـة (السبيليات) الواقعة على ضفة شط العـرب ، على بعد ١٢ كيلو متر من مدينة البصـرة حيث ارتكب مذبحة رهيبة ، قتل فيها الرجـال ، واسترق النساء والاطفال(٥٢) . ثم واصل تقدمه مجتازا الانهار والجداول العديدة التي تاخذ مياهها من شط العرب ، حتى وصل الى قرية السراجي، على النهر المنسوب اليها ، وهي قرية تبعد عـن البصرة زهاء كيلو مترين فقط(٥٤) ، فاستولى عليها، وارتكب فيها مذبحة كما فعل في سابقتها . وعاثت قوات الغزو في عدد من القرى(٥٥) .

ولم تنج (الزبير) وهي بلدة مهمة تقع على حافة البادية ، الى الجنوب من البصـرة ، من الغـزو والتخريب ولم يتوان الغزاة عن تدمير قبور الاموات ايضا فهدمت القبتان الفخمتان اللتان كانتا علـى مرقدي طلحة والزبير(٥٦) ، كما اتلفت بعض الاضرحة والاماكـن الاخـرى .

سـير القتـال :

في ١٨ آب وصلت القوات الايرانية الى البصرة وبدات حصارها بالفعل في ٢٨ من الشهر نفسه . وفي ايلول ارسل امير الحويزة عبدالله بن فرج برسالة رسمية الى حكومة البصرة حاول فيها استمالة مختلف فئات المجتمع البصري واقناعهم بالاستسلام(٥٧) وازاء رفض القيادة البصرية للعرض واصلت القوات الغازية حصارها المفروض علـى المدينة ، الا ان تكافؤ الاسلحة لدى المهاجمين والمحاصرين ، وقف ـ على ما يبدو ـ حائلا دون نصر سريع يحققه احد الطرفين على الاخر .

وفشلت عدة هجمات شنتها القوات الغازية في اثناء الحصار ، فقد كانت هذه القوات تفتقر الى مدفعية ثقيلة ، كما ان تسليحها كان بوجه عام ، تسليحا خفيفا ، وقد احست القيادة الايرانية بهذا النقص وكانت التقارير المرفوعة الى نادر شاه تطالب بتزويد الحملة بمدفعية ثقيلة العيار يمكن ان تلعب دورا حاسما في الحرب(٥٨) .

وفي ٢٧ تشرين الثاني وصلت الى مواقع القوات المهاجمة مدافع ثقيلة لاستخدامها في الحصار . ورغم عدم وجود معلومات عن عدد هذه المدافع ومدى فاعليتها فان بامكان المرء ان يتصور اهميتها في تعزيز القوات الغازية ، فقد قصفت المدينة قصفا شديدا اضر ببعض منشاتها ، واشار السويدي الى هذا القصف بقوله (فحاصروها مع اضرام نار الحرب بين البين ، واشتمال الاطواب والقنابر بين الجانبين)(٥٩) . وقد استمر القصف ليل نهار ، اصيبت فيه المباني المهمة مثل القنصلية الفرنسية (٦٠) ، وخان(٦١) الكرمليين ، وهي مبان كانت تقع في القسم الاعلى من المدينة، مما دل على ان مدفعية القوات المهاجمة كانت تتخذ مواقعها

في شمال البصرة ، في المنطقة الممتدة بين باب الرباط وباب بغداد ، من ابواب البصرة القديمة عند خندق المدينة .

وفي ليلة ٦ كانون الاول شددت القيادة الايرانية من ضغطها على القوات المدافعة فازداد نصف مدافعها . وقامت قواتهم بهجوم اخر ، الا ان قوات البصرة نجحت مرة اخرى في صدها ودحرها(٦٢) وبذلك فشلت اخر محاولة لجيش نادر شاه لاسقاط المدينة ، كما فشل في الوقت نفسه في احتلال مدينتي الموصل وبغداد .

نهاية الحصار :

ان فشل حصار نادر شاه حرمه من الاستفادة من عامل الزمن المحسوب في خططه ، فقد استغرقت عملياته في العراق من الوقت ما ضيع عليه تحقيق انتصارات عسكرية سريعة ، يعزز بها مكانته لدى قواده وشعبه ، وهو امر سرعان ما اثمر مزيدا من السخط والتذمر بين اتباعه ، واظهر معالم التمرد والثورة في بلاده ، بالاضافة الى افساحه المجال امام العثمانيين للتحرك ضده ، وبخاصة في مناطق التخوم التقليدية في شرق الاناضول .

وفي اوائل كانون الاول اظهر نادر شاه تنازله عن معظم مطاليبه السابقة واضطر الى الاتفاق مع احمد باشا والي بغداد على الصلح تمهيدا لعقد معاهدة سياسية معتدلة .

وبوصول انباء الصلح بين الطرفين في مساء ٨ كانون الاول الى البصرة ، توقفت سائر العمليات العسكرية وفتحت ابواب المدينة ، وتبادل الطرفان الهدايا وعبارات المجاملة ، على حسب الاساليب الدبلوماسية في ذلك العهد . ولم ينس حاكم الحويزة عبدالله خان ان يرسل رسالة مجاملة الى دورل المقيم البريطاني في البصرة يشكره فيها على رفضه المساهمة بسفينته في العمليات العسكرية ضد قواته ، وداعيا اياه ومساعده كريفز الى زيارة المعسكر الايراني الا ان دورل كان ابعد نظرا فيما يتعلق بصلاته بالجانب العثماني ، فاعتذر عن تلبية الدعوة مكتفيا بارسال الهدايا(٦٣)

وفي ١٦ كانون الاول(٦٤) تحركت القوات الغازية منسحبة باوامر من نادر شاه نفسه الى الحويزة ، بينما ذهب ضباط تلك القوات الى النجف مبلغين نادر شاه بالانباء . ولم تمض الا ايام حتى بدات القوات الايرانية الاخرى الموزعة في وسط العراق وشماله بالجلاء السريع ؛ وبمغادرة آخر جنود نادر شاه العراق بدا عهد من السلم ، اقرت دعائمه معاهدة سنة ١٧٤٦ التي اعادت الحدود ـ بوجه عام ـ الى ما كانت عليه في عهد السلطان مراد الرابع سنة ١٦٣٩. واستمر هذا العهد حتى مصرع نادر شاه نفسه سنة ١٧٤٧ (١٠ جمادى الاخرة سنة ١١٦٠هـ) .

الوثائق

وهي مجموعة الكتب الرسمية المتبادلة في اثناء الحصار بين القيادة الايرانية وحكومة البصرة واهلها في شهري تموز وآب سنة ١٧٤٣ (١٦٤ أ) .

الوثيقة رقم ١

« صفة مراسلة خواجه خان الحويزة(٦٥) رئيس عسكر العجم من قبل طهماز لما وجهه لقتال اهل انبصرة سنة ١١٥٦ (١٧٤٣م) ارسلها الى رستم آغا يخاطبه عن البصرة ، ورستم آغا نائب على البصرة من قبل الوزير المعظم احمد باشا أمير العراقيين »(٦٦) .

عالي القدر الاكرم ، جامع محامد الادب والشيم ، رستم آغا . عانه الله تعالى ، وبعده فالآن جرى الامر الاقدس الاعلى ، ان نتوجه الى بلدة البصرة وندعو اهلها الى ما اجمع عليه اهل الحل والعقد في اكثر بلاد الاسلام من الدخول في طاعة امناء الدولة العلية المؤيدة الالهية . وقد صدر الامر الاقدس المطاع وواجب الاتباع باجماع العساكر المنصورة في هذه الناحية لتنفيذ الفرمان والتنكيل على من يجلب لنفسه الهوان ويسلك منهج الخذلان وقد صدر الامر الارفع الاعلى ان نبدؤكم بالدعوة البالغة ، والترغيب الى الدخول في الطاعة ، لهذا بعثنا السادة الكرام ، ونتيجة النجباء الفخام ، عالي القدر السيد جواد الله لذلك الطرف ، لتبليغ الاوامر المقررة ، وهو الامين من طرفنا على العهد والذمة ، ولايخفى ان شاء الله تعالى عهده ، ولايخالف ايماده ووعده وانت من جملة المنسوبين لعالي جاه الوزير المكرم والدستور المكرم المعظم احمد باشا ، ومخير بين حالين : ان طالبتك نفسك الى خدمة الدولة الابدية(٦٧) ، والتجات الى ظل من استظلت به كافة البرية ، فلك عندنا ذلك

وتشملك المراحم السلطانية والشفاعة الخاقانية . وان اردت الوصول الى مخدومك العالي جاه الوزير المشار اليه ، مالك مانع ؛ وبعهد الله وعهد رسوله وعهد حضرة الشاهنشاه ظل الاله ، ان ما ينالك ضرر من جميع المواد ولايصيبك ما يسؤك لاقليل ولا كثير وبعد حصول الاطلاع بمضمون كتابنا هذا ترد لنا الجواب بما تختار لنفسك من احدى الحالين ان شاء الله تعالى نامر لك بها ؛ وان تختلف عن ما امرناك ؛ وارتكبت طريق الجهل والمعصية ، وزين لك الشيطان حمية الجاهلية ؛ فبحول الله تعالى وقوته حين ورودنا لتلك الولاية ننتقم منك حد الانتقام . ومن انواجب في الشريعة المطهرة الخيرية اكمال الحجة ، وايضاح المحجة ليهلك عن بينة ، ويحيي من حي عن بينة . ولازم من رد الجواب على وجه السرعة ؛ فان الاوامر السلطانية لاتؤخر ، وما امرها الا كلمح البصر . انتهى .

« فلما وصلت الى رستم آغا جمع اعيان اهل البصرة ، وهم في ذلك الوقت الاكرم درويش بن المرحوم السيد يعقوب الرفاعي نقيب الاشراف ، والشيخ ابراهيم المفتي وغيرهم ، ممن يحذو حذوهم ، فقرأ الرقم عليهم ، فاستعبروا وقالوا : **لانسلم بلد من بلاد الاسلام للطغاة البغاة الاعجام ، بل ندافع عنها بالانفس والاموال ولله عاقبة الامور العزيز المتعال** . وكتبوا رسالة اجابة للاعاجم وهذه هي »(٦٨) .

الوثيقة رقم ٢

الكتاب الذي ارسله اهل البصرة الى خواجه خان ردا على كتابه المذكور .

اما بعد ، فقد وصل الينا كتابكم ، وفهمنا ما احتوى عليه خطابكم ، فما ذكرتم من ان الملك خليفة الله تعالى في ارضه ، وان الملك لله يؤتيه من يشاء من بلاده ، وان الارض لله يورثها من يشاء من عباده وان قد صدر الامر عليكم بالتوجه الى البصرة المحمية ؛ ودعوة اهلها الى قبول اوامركم وترغيبكم في الطاعة وتحذيركم عن شق عصا الطاعة ، فهذا امر عجيب وحال غريب ، حيث من المعلوم لدى الخاص والعام ، ولايجهله احد من الانام ، ان سلطان البرين ، وخاقان البحرين ، خادم الحرمين الشريفين(٦٩) ، ثبت الله تعالى سلطنته على الحق وابدها(٧٠) ونصر عساكره وايدها ، وهو خليفة الله تعالى في ارضه القائم بسنة الجهاد وفرضه . القاطع سيفه اعناق ذوى الكفر والطغيان ، القامع بشدة سطوته شوكة عباد الاصنام ، الذي لولاه ما قام للدين عماد ، ولا ارتفع الاسلام على غيره وساد ، ولاطاف بالبيت طائف ، ولا وقف بعرفات واقف ، فيجب على كل من طلعت عليه الشمس ان يجنح لظله ، ويقبل في دوحة احسانه وفضله ، فانه الشمس الذي تضيء بدور الملوك بانواره ، والبحر الذي تستمد جداول الامراء من انهاره. وان البصرة الفيحاء من جملة مملكته ، وان اهلها من بعض رعيته ، ومنقادون لطاعته ، وقائلون تحت ظل رافته وحمايته ، وانهم لاوامر ولي امرهم وزيره المعظم والمشير المفخم ، الجامع بين سليقي السيف وسرير القلم المؤيد المنصور المظفر افندينا احمد باشا ، ممتثلون ولاقواله سامعون ، امتثالا لاوامر الله عز وجل (اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم) فمن خرج عن طاعة سلطانه ، وطاعة ولي امره ؛ فقد خرج عن الطاعة ، وشق وعصا الجماعة . وما نصحتنا به من التحذير عن الفتنة والترهيب عن اتباع سبيل المفسدين والنهي عن ابتغاء سبيل المؤمنين ، فلا والله ، ما خرجنا عن سبيل المؤمنين قيد شبر ، ولا اتبعنا سبيل المفسدين قلامة ظفر . فالواجب عليك ان تنصح نفسك كما نصحتنا وتحذرها كما حذرتنا ، ليسقط عنا وعنكم اثقال الحروب وتحط عن ظهوركم اوزار الاثام والذنوب ، ويتم الامر لنا ولكم ولئلا تدخلوا تحت قوله تعالى (اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم)(٧١) ، فان لم تقبل نفسك منك النصيحة الا اختلال (٧٢) النظام ، واصرت على ما يؤدي الى سفك دماء الانام ، فما تقول الا ما قاله الموحدون : انا لله وانا اليه راجعون ، ان عدت العادون وجار (الجائرون) وانا نرجو الله تعالى مجيرا ، وكفى بالله وليا ، وكفى بالله نصيرا ؛ **وها نحن للاقاة من رامنا بسوء متاهبون ، وبالله تعالى على من بلى علينا مستعينون ، ولنصرة الذي يؤيده من يشاء منتظرون ، لانرهب من الخوف لان عندنا من المقرر المعلوم ، انه لم يمت احد من قبل انقضاء اجله المحتوم ، وان فاز منا بالشهادة فقد نال السعادة ، ورزق الحسنى وزيادة** . وان النصر ليس بكثرة الجنود والعدد ولا بجمع الخيل المسومة والعدد ؛ بل كما قال الله تعالى في محكم القرآن العظيم « وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم »(٧٣) وان الله عز سلطانه قد اظهر كنز سره المصون بقوله تعالى « وقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون »(٧٤) وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون ، والى الله ترجع الامور على الجور (كذا) الارادة الربانية يجرى الفلك ويدور والسلام . انتهى .

« فلما ورد الجواب على الاعاجم ، وجندوا الجنود والعساكر المخذولة ، وتوجهوا نحو البصرة الفيحاء المحمية ، واحاطوا بها من كل جانب وتبعهم جميع قرايا البصرة ورعاياها ، ولم يبق الا المسورة لاغير وتحصنوا اهل البصرة في المسورة ، وسدوا الابواب من كل جانب ، وذلك في سنة الف ومائة وست وخمسين ، واقام الحصار مدة طويلة ، ثم ان العجم ارسلوا رسالة اخرى في اثناء الحصار لاهل البصرة على وجه النصيحة وهذه هي »(٧٥) .

الوثيقة رقم ٣

الكتاب الذي ارسله امير الحويزة عبدالله خان الى اهل البصرة طالبا تسليم مدينتهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة على رسوله الامين ، وعلى اله والصحابة الاكرمين .

بعد افشاء(٧٦) السلام ، واهداء التحية والاكرام ، الى العلماء الكرام والنقباء العظام ، الاشراف والمشايخ من اهل البصرة ، خصوصا الشيخ درويش والشيخ ابراهيم والسيد رمضان والسيد طالب ، ومن يحذو حذوهم ، احسن الله تعالى احوالهم ، واصلح بالهم وتقبل اعمالهم وبلغهم آمالهم ، فقد روى عن رسول الله تعالى صلى الله عليه واله وسلم بالاسانيد الصحيحة ، انه قال « حق المسلم على المسلم النصيحة » ونحن واياكم ممن جمعتنا ـ بحمد الله تعالى كلمة الاسلام على الصادع بها صفوف الصلاة والسلام ، فحق علينا جميعا اهداء النصائح وابداء المصالح ، وانتم وان كنتم ذوى الانظار الثاقبة ، واولى الابصار الصائبة والعالم لايحتاج الى التعليم ، والفهم مستغن عن التفهيم ، الا انه لاباس بالتذكير والتبيين بقوله تعالى في كتابه المبين « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين »(٧٧) . وقد بلغكم ـ جمعنا الله تعالى واياكم على الهدى وعصمنا جميعا عن مواقع الردى ـ ما ملأ الخافقين عن اخبار سلطان هذا العصر ، وما منحه الله تعالى به من الآيات الظاهرة(٧٨) والعزة القاهرة ، والقدرة البالغة ، والقوة الدامغة ، والراي السديد ، والجد السعيد ، والعطاء الجزيل والسيف الطويل ، والدولة الناسخة لسائر الدول. الشاهدة لكونه عز وجل مالك الملك (يؤتى الملك) من يشاء ، ويعز من يشاء ، وبذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير(٧٩) . وانه ما قاومه عزيز الا ذل ، ولا كثير الا قل ، ولا راية الا انتكست ، ولا مدينة الاخربت واندرست ، ولا بلدة الا حل بها الجلا ، وحق على اهلها الجلا ، ولا قوم الا جلبوا على انفسهم الندامة ، وضربت عليهم الذلة والمسكنة والوخامة ، ولا كتيبة الا امسوا مقهورين لا قاهرين ولا عصابة الا غلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ، فالسعيد من اتعظ بغيره ، واقتفى مواقع خيره ، وقد وجه الى اهل البصرة طائفة من جنوده اولي بأس شديد يقاتلونهم او يسلمون يقودهم الامير المعظم والسردار المكرم(٨٠) اسعد الله تعالى اقباله واصلح احواله وهو من اهل بيت المروءة والفتوة والشجاعة والمناعة والجلالة والبساطة ، طيب النفس ، كريم الاخلاق ، حسن السجايا ، وفي العهد ناجز الوعد ، حامي الذمار ، محمود الاثار ، يرحم الصغير ، ويوقر الكبير ، ويقوم الضعيف ، ويغيث اللهيف ، يحب الصلاح والسداد ، ويكره الفتنة والفساد ، ليس بينه وبين اهل البصرة مباغضة او معاداة(٨١) ، ولا مشاجرة ولا مشاحة ولا مقالات وانما هو عبد مأمور بأمر لابد له من امتثاله . وهذا اسهل(٨٢) امر يطلب منه ومن امثاله فاقامه في الحويزة مدة مديدة ، وارسل اليهم رسائل عديدة ، يدعوهم الى السلم والبيعة والدخول في ربقة الاسلام والطاعة ، فما زادهم الا عتوا ونفورا وجعلوا اصابعهم في اذانهم واستشفوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا ولم يهتدوا الى الصواب واغفلوا له في الجواب فتغافل عن ذلك تحلما ، وتثاقل عنهم رزانة وتكرما ، حتى اتته الارقام والفرامين تترى . وتتابعت عليه الاوامر شفعا ووترا مشحونة بالتأكيد واللوم والتهديد فلم يجد بدا من المسير اليهم حتى اناخ برحلة عليهم ، فاتاه اهل السواد من الاطراف يستصلحون لاحوالهم ، فبذل لهم الامان على دمائهم ونسائهم واموالهم ، فهم يسرحون في بساتينهم ومزارعهم ويسرحون في مرابعهم وطرائقهم . وقد كان اهل البلدة وهو السواد الاعظم بمن فيها من (اولى) الاحلام والنهي وارباب العلم والفهم والحجا ، وهم المجربون للامور ، الناظرون في مصالح الجمهور ، اولى بهذا الاستطلاح ، ومعرفة الفساد من الصلاح واحرى بالنظر في الاغوار والتحفظ عن الاخطار ، واعلم بان الدورة(٨٣) الالهية لاتحارب ، وان الامور السماوية لا تغالب ، وانه ما وقع قوم من(٨٤) الحصار الا فلوا وما غزى قوم في عقر ديارهم الا ذلوا ، وان الاحتصار (٨٥) انما ينفع من كل له مدد قريب ، او فئة يدعوها فتجيب(٨٦) ، دون من هو في اضيق من عقد التسمين ، لا امل له بناصر ولا معين . وان السلطنة التي قهرت العرب والعجم ودانت لهم

السند والهند والترك والديلم . وجلبت على البصرة جيرتها وهم حماتها وقادت(٨٧) اليها جموع العرب وهم فرسانها ، وكماتها ، لايعجزها شان أهلها وهم الاقلون ، ولا يتصعب عليها امر هؤلاء وهم فيها اذلون ، وهل هذا الاحتصار وما هم عليه من الجهالة والاصرار الا من القاء النفس في التهلكة ، وقد نهى الله عنه ، وكيف يرجون الله تعالى ان يفرج عنهم وهم مصرون على مخالفته وعصيانه ، مستوجبون لهوانه وخذلانه ، فان كان هذا التحفظ عن الدماء ان تسفك والحرمات ان تهتك والاموال ان تؤخذ وتملك ، فما هم فيه تعريض لهذه(٨٨) كلها الى الشر والاستلاب والاستعجال عليها بالفساد والانتهاب ، وقد كان يمكنهم ذلك من دون تقحم هذه الاحوال الخطرة ، والوقوع في هذه المضايق الوعرة ، على ان المطلوب الكلي والغرض الاصلي لحضرة الشهنشاه انما هو سعة الملك وكثرة(٨٩) الرعاية والعمارة . ولا صلاح له في القتل والسبي والنهب والغارة ، وان كان للتحفظ على امر الدين والمذهب ان يتطرق اليه التغيير او يحدث فيه الاحداث والمناكر ، فالقواعد المقررة في هذه الدورة منذ ظهر امرها واشرق بدرها تقرر(٩٠) كل ذى ملة على ملته ومسالمة كل ذى نحلة على نحلته ، لايكلف احد بالخروج عن سيرته وادبه ، وبمفارقة سنته ومذهبه . ما جعل عليكم في الدين من حرج ولا اكراه ومذهبه . ما جعل عليكم سيرته في اهل الهند لما فتح في الدين . او ما يبلغهم سيرته في اهل الهند لما فتح الله تعالى عليه بلادها ، والقي اليه قيادها ، وذلك له صعابها ووطي له رقابها كيف ترك المسلمون بفرقهم على مللهم ، والكفار بفرقهم على نحلهم ورتب الاشراف ورؤساء المذهب على مراتبهم ، ولم ينكر شيئا من مذاهبهم ولم يقطع شيئا من رواتبهم وهكذا سيرته في بلاد الترك وفيما افتتحها من بلاد الروم(٩١) مثل الحلة والمشهدين وكركوك ، وما اولاها ، وناهيكم في ذلك بما في العساكر المنصورة من الفرق الثلاثة والسبعين . لا مخاصمة بينهم ولا حجاج ، لكل منهم شرعة(٩٢) ومنهاج يتوالفون ويتصادقون ويتسالمون ويترافقون ويتعاملون ويتوافقون ويتزاورون ويتعاشرون ولا يتنافرون . تتكافأ دماؤهم واموالهم ، وهم يد على من سواهم ، ويسعى بذمتهم ادناهم ، لانجد فيهم احقادا ولا اضغانا . قد نزع الله تعالى ما في صدورهم من غل اخوانا(٩٣) وان كان انفة على الديار ان يتسلط عليها الاغيار . ويتصرفوا في عشورها وطوقها (كذا) ويحيوا من خراجها وحقوقها ، فهذا امر مرجوع الملوك دون المماليك ، والى الحكام والسلاطين دون الصعاليك وما للرعية وهذه الحمية ؟ وما للسقطة والاذناب والدخول في هذا الباب ؟ وما للسوقة والاتباع والسفلة والهمج الرعاع الذين ما يملكون من قطمير وليسوا في المير ولا في النفير والخوض في هذه اللجة والتطرق الى هذه المحجة ؟ انما على الرعية والضعفة ان يطيعوا الله والرسول واولى الامر وليس اليهم الرد والقبول والانفة والاستكبار ، ويخلق ربك ما يشاء ويختار لهم الخيرة . وهب ان في البصرة رجالا من اهل هذا الشان ، فاين اهل العساكر والذخائر والعشائر والاقوام والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام ، حتى لايتورطوا في هذا الامر المهم ويتهودوا في هذا الخطب المدلهم ، ومقاومة هذا الفيلق الجرار ، ومصادمة امر هذا الملك الجبار ؛ فان كانوا مستمدين باهل البلد فهذا من الاراء السخيفة والخيالات الواهية الضعيفة اذ ليسوا من هذا العزم والحزم « تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى »(٩٤) فلو جال الجائل وصال الصائل لوجدتهم كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة(٩٥) فلا يستفزنهم هذا الضوضاء فانه رؤما افئدتهم هوا(٩٦) وهب ان فيهم اغنياء متوافقون ، واقوياء متصادقون تكيف بالمستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، لايستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ؟ فمن كان من اهل الانفة والحمية فلتاخذه الحمية على هؤلاء ان يستنقذهم من البلية لا ان يجعلهم غرضا للمنية ، ويعرضهم للقتال ويعرضهم للاصطدام والاستيصال ، وقد قيل في الامثال : ليس الغيرة ان يطالع المرؤ خيره ويضر غيره . وان كانوا واثقين بسلطان الروم(٩٧) ان يمدهم بالاموال والرجال والباس الشديد فاني لهم التناوش من مكان بعيد ؟ وكيف يظنون هذه الظنون ، وقد حيل بينهم وبين ما يشتهون ، وتقطعت بهم الاسباب ، وضرب بينهم بسور [ما] له باب ؟ وان كان ذلك لمطالعة العواقب ، فقد قضوا ما عليهم من الحق الواجب ، وخرجوا عن عدل العاذل وعتبى العاتب ، فليعرفوا ـ رحمهم الله تعالى ـ قدرهم ولا يتعدوا طورهم ، ولايفرطوا في اللد والعناد ، ولا يستجلبوا الخراب والفساد اليس(٩٨) استصلاح الاحوال والاستبقاء على النفوس والاموال اولى واعود في المال واصلح للعاقبة واحزم ، واقرب الى الفلاح واقوم واسلم والم للشعب عن الحاجة واحسن وامكن للاستدراك واعون ؟ فليلا حظوا المواقب بالعيون الصحيحة دون الموراء ، ولا يحفظوا شيئا ويغيب عنهم

اشياء ، ولينظروا لانفسهم باستدراك ما فرط قبل الفوت ، ولا تنفع التوبة عن معاينة الموت ويستقيلوا عثرتهم ويكفوا عن اللدد والاصرار قبل ان يجتمع عليهم النار وانمار ، وانتم ياأخوان الدين واولي الابصار المهتدين ، بقية السلف وحجة الخلف وقدوة الانام ومفزع الخاص وحصون الاسلام ، ومفاتيح دار السلام ، العارفون بالحقائق المتنبهون للدقائق ، الهداة الى سبيل الخيرات ، الدعاة الى مناهج النجاة ، الفارقون بين الخير والشر ، الامرون بالمعروف الناهون عن المنكر ، عنكم تصدر الاراء واليكم ترد ، وبكم تنحل الامور وتنعقد ، واليكم تطمح الابصار وترمق الانظار وتشد الرحال وتخفق النعال وتوطيء الاعقاب وتمد الرقاب(٩٩) واليكم المرجع في جميع الامور وعليكم المعول في المأمول والمحذور ، وبكم يسد الخلل ، وتتقى(١٠٠) مواقع الزلل ويرقع الخرق ، وتنظم مصالح الخلق ، وفي الحديث الشريف : العلماء اعلام الدين ، واوتاد الارض ولولاهم لماجت باهلها ، وفي حديث اخر : اذ ظهرت الفتن فليظهر العالم علمه ، والا لجم بلجام من نار . وفي حديث اخر : والا تقع عليه(١٠١) لعنة الله ، اللـه اللـه يا اعلام (بياض في الاصل . . .)(١٠٢) الدين والاخوان الراشدين في دماء المسلمين وحفظ امة محمد ، خذوا حقن دماء المسلمين وحفظ نظام امة محمد ، خذوا حذوهم واصلحوا امرهم ، ودلوهم على الهدى ، ولاتتركون(١٠٣) سدى . ومعاذ الله تعالى ان تموج البصرة باهلها وانتم فيها ، واي فتنة اعظم من هذه الفتنة العامة التي لاتصيبن الذين ظلموا منهم خاصة وتعرفون العجم ، بطشهم شديد ومرماهم بعيد ، لا يملون عن الطلب ، ولايذلون من الكلب (كذا) لايرضون بالدنية ولايقرون دون بلوغ الامنية ، لايردهم عن البغية راد ، ولايصدهم صاد عن المراد ، ما تأهبوا الامر الا بلغوا اقصاه ، ولاجروا الى مدى الا ادركوا منتهاه ولا تحجز عنهم الحيطان والحصون ولاتحمي(١٠٤) عنهم البروج ولا تصون ، وقد رزقوا من الدهاء والحيلة والفتك والغيلة والسطوة ونفوسهم سبعية وسيوفهم مسلولة ، ونياتهم صحيحة غير معلولة ، لاتغني عنهم شيئا من هذه القصبات الواهية ولاتكفهم امثال هذه الاجتماعات العامية . فبادروا ـ رحمكم الله تعالى ـ الى تقويم الادب واصلاح ما فسد ، قبل ان يتسع الخرق على الراقع ، ويحل عذاب واقع ليس له دافع ، وطبوا هذه القالة ، واردعوا الجهالة عن الجهالة قبل ان تطيرهم المنايا كالطيور عن اوكارها وعجلوا ـ غفر الله تعالى لكم ـ قبل ان تدخل عليكم المدينة من اقطارها فحينئذ لاتنفع شفاعة الشافعين ، واذا نزل بساحتهم قساء صباح المنذرين ، ولينظروا بعض من يثقون به من اهل الخير والصلاح ليستقروه للاستصلاح يلتمس لهم الامان ويتوثق لهم بالعهود والايمان على الاموال والعيال والنفوس والدين والمذهب والناموس وحسن السلوك مع عموم الرعايا سيما الاعيان والاشراف وارباب المزايا وترتيبهم على مراتبهم ونصبهم على مراكزهم ومناصبهم وان لايغير شيء من القواعد القديمة حقيرا كان او جليلا ولا يؤاخذون بما سلف الا يظلمون فتيلا ، والا فليوقنوا انهم مستضعفون مغلوبون ومقهورون ومخذولون منكوبون ، ونفوسهم مسلوبة واموالهم منهوبة ونسائهم ماسورة وديارهم خربة غير معمورة ، سنة الله تعالى في الدين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تحويلا . وايم الله تعالى رب العالمين اني لكم ناصح امين ، ليس لي هواء(١٠٥) فيما رسمت ، ان اريد الا الاصلاح ماستطعت ، فأن وقع منكم موقع القبول فهو غاية المرجو والمأمول والا فأمانتي ادتها ، وحاجة في النفس قضيتها ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

من الفقير الى الله الغني عبدالله الحسيني

في شهر شعبان المعظم سنة الف ومائة وستة وخمسين

الوثيقة رقم ٤

الكتاب الذي ارسله اهل البصرة الى امير الجيوشية ردا على كتابه المذكور .

اما بعد ، فقد ورد الينا كتابكم الكريم ، المقابل بالاجلال والتعظيم ، فما ذكرتم من اننا ممن جمعتكم معنا كلمة الاسلام ، واننا واياكم اخوان في الدين وانكم بذلتم النصح لنا لكوننا من المؤمنين الموحدين ، وذكرتم ان الواجب على الرعية اطاعة الله تعالى ورسوله واولي الامر ، وليس لهم المقاتلة تنقما وحمية فاذا تقرر لديكم ذلك ، وجنابكم ـ والله الحمد ـ عالم كامل ، يعرف اننا رعية مولانا سلطان البرين وخاقان البحرين ، خادم الحرمين الشريفين ، مؤيد اركان الدين وقامع الكفرة والملحدين ، ورعية مولانا الوزير المعظم ، والمشير المفخم الوزير احمد باشا ادام الله لاوامره ممتثلون ولاقواله سامعون ، فكيف يجوز لنا ان نخرج عن ربقة طاعتهما(١٠٩) ونسلم بلادهما لغيرهما وبغير(١١٠) امرهما ؟ ولم يكن بنا ـ ولله الحمد ـ عجز ولا تعب ولاوهن ولانصب ، وليس علينا قلة من الجبخانة(١١٨) والذخائر ولا المقاتلة والعساكر

ان رمتم الفيحاء فأمرها الى والي امرها ، واما نحن فجلوس في بلادنا . وان[١٠٩] كنا مأمورين بمحاربة من حاربنا ومقاتلة من قاتلنا . ومعلومكم ان قتيلنا شهيد وقتيل من اعتدى علينا في عذاب شديد ، لقوله تعالى في كتابه المبين « وقاتوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا ان الله لايحب المعتدين »[١١٠] ويشهد لذلك قللكم[١١١] التي تريد من مدافعكم فهي علينا بردا وسلاما كان صارفا يصرف ضررها عن الانام . فلو ان جنابكم الشريف يبذل النصيحة لحضرة الشاه ولحضرة السردار ان يدخر هذه المصارف التي تبلغها لقتال المسلمين ويصرفها في محاربة الكفر والمشركين ، لتوسع ملكه وصار غازيا متابعا لسنة سيد المرسلين ، ولم يحصل له ولا لاتباعه خلل في الدين ومثلكم من يبذل النصيحة . وفقنا الله تعالى واياكم لطاعته وعصمنا واياكم من مخالفته ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . انتهى .

الهوامش

(١) بدأ هذا العهد ، باسترجاع السلطان مراد الرابع بغداد وسائر العراق من ايدي الصفويين سنة ١٦٣٨ واتسم بالفوضى وكثرة النزاعات الداخلية ولكسرد ثورات الانكشارية ولم يغير من هذه الاحوال سوى ظهور والي بغداد القوي حسن باشا (١٧٠٤ ـ ١٧٢٣) وابنه احمد باشا (١٧٢٣ ـ ١٧٤٧) ، اللذين عرفا بحروبهما ضد حكام ايران ، من الافغانيين والافشاريين واستيلائهم على بعض المدن الايرانية المهمة وتاسيسهم لنظام المماليك .

(٢) تولى المماليك الحكم في بغداد وتوابعها : البصرة استولى عليها الجيش العثماني تابعة للدولة العثمانية وبذلك واستمر حكمهم قائما حتى سقوط آخر ولاتهم داود باشا سنة ١٨٣١ .

(٣) وهو الشاه طهماسب الثاني وقد حكم من ٧٢٢ ـ ١٧٣١ .

(٤) وهو الشاه عباس الثالث ، وقد تولى الحكم صوريا من ١٧٣١ ـ ١٧٣٦ .

(٥) كانت المعاهدة تنص على ان تكون المدن والامكنة التي استولى عليها الجيش العثماني تابعة للدولة العثمانية وبذلك ضمت المدن : همدان وكرمنشاه ، واردلان الى ادارة ولاة بغداد . عبدالمحسن السعدي : حديقة الزوراء في سيرة الوزراء ، اخبار سنة ١١٤٤ هـ الورقة ١٨٠ (مخطوط) ورسول حاوي الكركوكلي : دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء (عربه عن التركية موسى كاظم نورسي بيروت ـ د . ت) ص ٢٨ وانظر عن هذه الحروب كاتب جلبي : تقويم التواريخ ص ١٥٧ (بالتركية ـ استنبول ١١٤٦ هـ) وسليمان فائق : حروب الايرانيين في العراق عربه عن التركية محمد خلوصي الناصري ـ مخطوط)ص٦ ـ ٣٤ وتاريخ جلبي زادة ص ٦٥ ـ ١٢٧ (بالتركية استنبول ١١٥٣ هـ) و

Hammer J. Histoire de L'Empire Ottoman, Tome 14 P. 130 (Paris, 1835-1948).

Malcolm, J : History of Persia, Vol. II. P. 30 (London 1929).

و

Sykes, P : A History of Persia, Vol. II, P. 250.

و

Lockhart, L : Famous Cities of Iran, PP. 51-55 (London 1939).

(٦) محمد مهدي خان الاسترابادي : درة نادرة ص ٢٠٠ (حجر ايران) والمؤلف نفسه : جهانكشاي نادري ص ٢٠٠ (بالفارسية طهران ١٢٤١) .

و

Lockhart, L : Op. Cit, P. 55.

و

Lockhart, L : Nadir Shah, (London 1773).

(٧) ابتدا الحصار في اواخر سنة ١١٤٥هـ واستمر اوائل ١١٤٦ ثم اعيد مجددا بعد نحو سبعة اشهر واستمر اواخر السنة المذكورة ، انظر السويدي : حديقة الزوراء حوادث سنة ١١٤٥ ـ ١١٤٦ دوحة الوزراء صفحة ٢٣ ـ ٢٥ وابراهيم متفرقة : تاريخ نادر شاه . الورقة ٥٤ ـ ٥٦ (بالتركية مخطوط) وتاريخ صبحي ، الورقة ٥١ (بالتركية استانبول ١١٩٨)

و

Hammer, J : Op, Cit., Tome 14, P. 285.

وتذكر المراجع الفارسية ان نادرا استولى على جميع اطراف بغداد مثل سامراء والحلة والنجف وكربلاء والرماحية بحيث لم يبق بيد احمد باشا سوى بغداد فقط (جهانكشاي ص ٢٠٠) وثمة تفصيلات في محمود الرحبي : بهجة الاخوان في ذكر الوزير سليمان ، مخطوط ، الفصل الثاني .

(٨) امين العمري : منهل الاولياء ، ج ١ ص ١٤٧ (الموصل ١٩٦٧) ولقد استطاعت قوى الموصل المحلية بقيادة واليها الحاج حسين باشا الجليلي واسرته واتباعه ان توقع

بالجيش الزاحف خسائر فادحة في معركة سريعة عنـــد اسوار المدينة ، فتشتت الجند بين اسير وهارب وقتـــل منهم الكثير كان من بينهم قائد الحملة تركزخان ، وتقـــدر المصادر الموصلية عدد افراد هذه الحملة بزهاء ٨٠٠ جندي انظر ياسين العمري : منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء ص ١٧٨ (الموصل ١٩٥٦) المؤلف نفسه : زبدة الآثـــار الجلية في الحوادث الارضية صـــ ٨٨ (النجف ١٩٧٤) والدر المكنون في المآثر الماضـــية من القـــرون ص ٥٨٨ (مخطوط) ومجهول : روضة الاخبار في ذكر افراد الاخيار الورقة ١٥٣ (مخطوط) ديوان حسن عبدالباقي الموصلي ص ٤١ ـ ٤٢ (الموصل ١٩٦٦) وسليمان الصائغ : تاريخ الموصل ١ ص ٢٧٧ (القاهرة ١٩٢٨) وتفيض المصـادر الموصلية في وصف هذا النصر في حين لاتشير اليـــه المصادر البغدادية مثل دوحة الزوراء وحديقة الزوراء (عمـــاد عبدالسلام رؤوف : الموصل في العهد العثماني ، فتـرة الحكم المحلي ص ١٠٠ ، النجف ١٩٧٥) .

(٩) كانت القوات البرية في هذه الحملة بقيادة والي الحويـزة (وهو يومذاك المولى محمد خان . اما القوة البحرية فكانت شيخ مشايخ قبيلة بني لام . اما القوة البحرية فكانـــت تتالف من ثلاث سفن كبيرة ، وعدد كبير من السفن الصغيرة بقيادة لطف خان ، وقد استطاع متسلم البصرة آنـــذاك صد تلك القوات بسفينتين استولى عليهما من شركة الهند الشرقية البريطانية في البصرة وعبدالامير محمد امـــين : القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر ص ١٢ و ١٩ .

Lorimer : Gazetteer of the Persian Gulf, 'Oman, and Central Arabia, Vol. I, Part I. P. 1198.

Sykes, P : Op. Cit., Vol. II, P. 293.

(١٠) وكان سلطان الهند المغولي يومذاك محمد شاه ناصر الدين (١٧١٨ ـ ١٧٤٨م / ١١٣١ ـ ١١٦١هـ) وقد اعلن خضوعه لـــه بمعاهـــدة صلح عقدت بين الطرفـــين . زامباور معجم الانســاب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاســـلامي ص ٤٤٢ (القاهرة ١٩٥١) ومادة نادر شاه في

Islam Ansiklopedisi, Istanbul 1945.

(١١) وذلك في ٢٤ شوال ســـنة ١١٤٨ (١٧٣٥م) وان اســـم (نادرشـــاه) اطلق بعد هذا التاريخ اما قبل ذلك فكـان يدعى (نادر خـــان) و (طهماسب قولي) اي عبـــد طهماســـب .

(١٢) حديقة الزوراء : الورقة ١٥١ (مخطوط) ودوحة الوزراء ص ٥٠ ـ ٥١ وتاريخ صبحي ، الورقة ٥١ ـ ٦٨ ، ومحمـد سعيد المدرس :كلشن معارف ج ٢ ص ١٢٨٥ (استانبول ١٢٥٢هـ) وجهانكشاي نادري ص ٣٨٤ وتاريخ نادر شاه الورقة ٦٠ (مخطـــوط) .

Lockhart, L : Nadir Shah, P. 236.

ومحمود الرحبي : بهجة الاخـــوان ، الفصل الثانـــي (مخطـــوط) .

(١٣) ثمة مصادر عديدة عن حصار الموصل ، نذكـر منها مثلا : امين العمري : منهل الاولياء ١ ص ١٥٤ ، وياسين العمري منية الادباء ص ٢٨٢ وقرة العـــين ص ١٤ (مخطـــوط) ودومنيكو لانزا : الموصل في الجيل الثامن عشـر ص ٤٠ ، وسالنامة الموصل لسنة ١٣٢٥ ، انظر كتابنا الموصل في العهد العثمانـي ص ١٠٤ ـ ١١٢ .

(١٤) انظر نصوص هذه المعاهدة في دوحة الوزراء ص ٧٦ ـ ٧٨ وجهانكشاي نادري ص ٠٠) وتاريخ عـــزى الورقـــة ٨٠ (بالتركيـــة ـ استانبول ١١٩٩هـ) .

(١٥) ورد اسمه في آخـــر الوثيقة على النحو الاتي : الفقير الى اللـــه الغني عبداللـــه الحســـيني .

(١٦) توجد هذه الوثائق في مجموعة الاستاذ كوركيـــس عـــواد المحفوظة في مكتبة الدراسات العليا ـ كلية الاداب ببغداد، وهي عبارة عن نسخ منقولة عن الوثائق الاصلية .

(١٧) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص ١٨٢ (بيروت ط ٥) وكان هذا الجيش مؤلفا من امم شـــتى اخضعها نادر شـــاه ، مثل الافغان والترك ، وشـــعوب ما وراء النهر ، فضلا عن الفرس . ولكي نفهم معنـــى ضخامة هذا الجيش ، نذكر القارىء بان عـــدة الجيوش الثلاثة التي سيرها نابليون سنة ١٨١٤ لاحتلال موســـكو وغزو روســـيا ، وكانت مؤلفة من مختلف الامم الاوربية ، لم تكن تزد عن ٤٠٠،٠٠٠ ، في بعض التقديرات وقد عرف هذا الجيش ب « الجيـــش الاعظـــم » لانـــه اعظم مـــا عرفته اوربا حتى ذلك الحين . وللمقارنة انظر : ايريـــك موربز :مدخل الى التاريخ العسكري ص ٢٤٨ (ترجمة اكرم ديري وهيثم الايوبي ـ بيروت ١٩٧٠) .

(١٨) تذكر المصادر الموصلية المعاصرة ان والي بغداد احمد باشا عرض على الشاه الاستيلاء على الموصل تخلصا مـن موقفه الحرج (ياسين العمري منية الابناء ص ١٨ وغاية المرام فـي تاريخ محاسن بغداد دار السلام ص ١٨٢ والدر المكنون ص ٩٥٢ مخطـــوط) .

ويبدو لنا ان فكرة غزو الموصل قبل بغداد لم تكن الا مـن وحي الشاه نفسه ، هدفها السيطرة على اتصال العـراق بالجزيـرة ، وبالتالي قطع خطوط المواصلات بين القيادة العثمانية وبغداد ، واحكام قبضته على العراق من شماله وجنوبه لكي تسقط بغـداد بعد ذلك بيسر وسهولة . انظر الموصل في العهد العثماني ص ١٠٣ ـ ١٠٤ .

(١٩) منية الادباء ص ١٨٠ وزبدة الاثار الجلية ص ١٠٢ ومنهل الاوليـاء ج ١ ص ١٥٠ وحديقة الزوراء الورقـــة ١٩٠ (مخطـــوط) ودوحـة الوزراء ص ٥٠ .

(٢٠) Lockhart, L : Op. Cit., P. 236.

(٢١) حديقة الزوراء ص ١٩١ ودوحة الوزراء ص ٥٠ .

(٢٢) Otter, M. Voyage en Turquie et en perse, Tome II, P. 380.

(٢٣) Lockhart, L. Op. Cit., P. 236.

(٢٤) جهانكشاي نادري ص ٣٨٤ وكسروي تبريزي : تاريـــخ بانصدسالة خوزستان ص ١٢٠ (تهران ١٣١٣).

(٢٥) في المصادر الفارسية (قوجة) ورد اسمه في صدر مجموعة المراسلات الرسمية المتعلقة بالحصار على شكل (خواجـة خـــان) .

(٢٦) كان نادرشاه يحاول اثارة هذه القبيلة ضد العشائر التركمانية : انظر محمد امين زكي ـ خلاصة تاريخ الكردستان ص ٤٤٤ (القاهرة ١٩٦١) .

(٢٧) Lockhart, L : Op. Cit., P. 236.

(٢٨) من تلك الاسلحة ١٦٠ مدفعا ثقيلا و ٢٢٠ مدفعا من مدافع الهاون وقد القي على الموصل خلال ايام الحصار الاولى ١٠٠٠ر١ قذيفة هاون و ٤٠٠ر٠ ـ ٥٠٠ر٠ قنبلة مدفع بحسب التقديرات المحلية : الموصل في العهد العثماني ص ١٠٩ .

(٢٩) Lockhart, L : Op. Cit., P. 235.

(٣٠) كان تعداد الاورطة الموجودة في الولايات العثمانية يتراوح بشكل عام بين ٣٠٠ و ٥٠٠ رجل انظر :

Gibb and Bowen, Islamic Society and the west Vol. I, Part I, PP. 60-61 (Oxford 1967).

(٣١) Ives, A Voyage From England to India (London 1960).

ويذكر Zwemer ان سكان البصرة كانوا يعدون في منتصف القرن الثامن عشر اكثر من ١٥٠ر٠٠٠ نسمة وان عددهم انخفض حتى بلغ سنة ١٨٢٥ حوالي ٦٠٠ر٠٠٠ .

Zwemer, S.M., Arabia, The Cradle of Islam (London 1900).

ونحن نشك في التقدير الاول ونرى انه مبالغ فيه نظرا لاعداد السكان في المدن العراقية الاخرى .

(٣٢) Della Valla, P. The Travels of Sig. Pitro Della P. 244 (London 1665).

وجاكسون : مشاهدات بريطاني عن العراق سنة ١٧٦٧ (ترجمة سليم طه التكريتي ـ بغداد) .

(٣٣) يذكر نيبور سنة ١٧٦٥ انه كان للبصرة ، في ايامه نحو ٥٠ ـ ٦٠ كنة ولكننا لانعلم عددها ـ على وجه الدقة ـ الناء الحصار المذكور ويبدو ان بعضها كان مزودا بالمدافع لكنها كانت صغيرة جدا انظر :

Niebuhr, K. Op. Cit., II, P. 175.

(٣٤) سفينة حربية شراعية كبيرة ذات مجاذيف

(٣٥) Lockhart, L. Op. Cit., P. 235.

(٣٦) وذلك عندما هاجم اسطول فارسي البصرة بقيادة لطف خان البصرة بامر من نادرشاه . عبدالامير محمد امين ، البحرية ص ١٣ .

(٣٧) Lorimer, Gazetteer of the Persian Gulf Vol. I, P. 1198 Lockhart : Op. Cit., PP. 275-236.

(٣٨) انظر خارطة البصرة كما رسمها نيبور سنة ١٧٦٥ في :

Voyage in Arabic, II, P. 172.

(٣٩) Texeira, P. : The Travels of Pedro Texeira P. 34, (London 1902).

و Della Valla, P. : The travels, P. 244.

و Ives : Voyage from Persia to England, P. 231.

و ومشاهدات بريطاني عن العراق سنة ١٧٦٧ ص ٣٠ ـ ٣١

وعن احوال البصرة في القرن الثامن عشر ، تراجع مادة (بصرة) بقلم Huart في

Islam Ansiklopedisi, 3, PP. 323-326.

(٤٠) جاكسون ص ٣٠ ـ ٣١ .

(٤١) انظر

Texeira, P. : Op. Clt., P. 34.

Hawel. T. : Voyage on Retour de L'Inde, PP. 29, 35.

Paris 1788.

Ives, E. : Op. Cit., P. 232.

Buckingham, J. : Travels in Mesopotamia, Vol. II, P. 242.

(٤٢) كانت دور بغداد مشيدة بالاجر المشوي وكانت دور الموصل مبنية بالصر والجص مما كان له اثر التقليل من اخطار قصف مدفعية نادرشاه .

(٤٣) Niebuhr, K. : Op. Cit., II, P. 175.

وعباس بن علي المكي : نزهة الجليس ومنية الاديب الانيس ج ١ ص ٥٢٠ (النجف ١٩٦٧) .

(٤٤) خارطة البصرة من رسم نيبور .

(٤٥) كان ضم البصرة الى بغداد البداية الفعلية لسياسة بغداد المركزية في العراق ابان العهد العثماني . وقد حدث ذلك في عهد والي بغداد القوي حسن باشا . تاريخ صبحي ـ الورقة ٥٧ (بالتركية ستانبول)

و Islam Ansklopedisi, 2. P. 208.

(٤٦) Niebuhr, Op. Cit., II. P. 176.

(٤٧) ان اسمه غير مذكور في قائمة ولاة البصرة المثبتة في سالنامة ولاية البصرة (انظر سالنامة سنة ١٣٠٩ مثلا مطبعة الولاية) بل تذكر ان رجلا يدعى (حاجي علي اغا) تولى البصرة من ١١٥٤ الى ١١٦٠هـ (١٧٤١ ـ ١٧٤٧م) وليس من دليل على تولي هذا الرجل سلطاته في البصرة ابان الحصار ، ويبدو انه تسلم الحكم فيها اسما ، دون ان يرحل اليها فعلا انظر للظروف العصيبة في البلاد انذاك .

(٤٨) من امير الحويزة الى حكومة البصرة ، شعبان ١١٥٦ (وليقة رقم ٢)

(٤٩) في ملتقى دجلة بالفرات ، وكانت قد سقطت بيد قوات نادرشاه ايضا .

(٥٠) ان اول من توطن في ارض المحمرة هو الحاج يوسف بن الحاج مرداو من شيوخ البوكاسب ، من عشائر كعب ، وذلك سنة ١٨١٢م / ١٢٢٩هـ ، وكان في موقعها في العصور القديمة ، مدينة خاراكس،التي انشاها الاسكندر المقدوني وكانت تعد جزءا من بلاد العرب الا ان هذه المدينة اندرست كما اندرست مدينة اخرى كانت على انقاضها سماها العرب (بيان) .

انظر : بلدان الخلافة الشرقية ص ٦٩ وعلى نعمة الحلو : المحمرة مدينة وامارة عربية ص ١١ (بغداد ١٩٧٢) .

(٥١) ما تزال هذه القرية عامرة ، وهي اليوم تابعة لناحية شط العرب .

(٥٢) جهانكشاي نادري ص ٢٨٤ و

Loriemer, Op. Cit., Vol. I, Part I, P,

1199.

Lockhart : Op. Cit., P. 235.

و

Otter : Op. Cit., P. 381.

(٥٢)

(٥٤) قرية عامرة في انحاء البصرة ، وصفت في القرن التاسع عشر بانها (في غاية العمارة) وكانت تابعة لقبيلة المنتفق . فتح الله الكعبي : زاد المسافر ولهنة المقيم والحاضر ص ٢٦ ـ بغداد ١٩٥٨ ـ وابراهيم فصيح الحيدري : عنوان المجد في بيان احوال بغداد والبصرة ونجد ص ١٨٣ (بغداد ـ د . ت) .

Otter Op. Cit., II., P. 380. (٥٥)

Niebuhr : Op. Cit., II. P. 191. (٥٦)

(٥٧) من امير الحويزة الى حكومة البصرة (الوثيقة رقم ـ ٣)

Lockhart : Op. Cit., P. 236. (٥٨)

(٥٩) حديقة الزوراء ص ١٩١ (مخطوط) .

(٦٠) تولى الاباء الكرمليون تمثيل مصالح فرنسا في البصرة حتى سنة ١٧٣٩ ، ثم تولاها بعد ذلك مطران الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ببغداد . وفي عام ١٧٥٥ اعيد افتتاح القنصلية الفرنسية في البصرة .

Loriemer : Op. Cit., Vol. I, Part. I. P. 133.

(٦١) قدم الاباء الكرمليون البصرة سنة ١٦٢٢ بامر البابا كليمنت الثامن ، وهم مبشرون كاثوليكيون نشطون كانوا يركزون جهودهم على النصر الصائبة :

انظر ـ

Gollancz, H. : Chronicale of Events between the Years 1623 and 1733 relating to Settlement of the Order of Carmelites in Mesopetamia (Bassora) (Oxford 1927).

Lockhart : Op. Cit., 235. (٦٢)

Ibid., P. 235. (٦٣)

(٦٤) يذكر لوريمران ان فك الحصار عن البصرة كان في ٢٧ تشرين الثاني ، وانسحاب القوات الغازية في ٥ كانون الاول .

(٦٤) توجد هذه الوثائق في مكتبة الدراسات العليا بكلية الاداب ببغداد .

Lorimer : Op. Cit., I. i. p. 1199.

(٦٥) كذا في الاصل ، والصواب ان خواجة خان هو غير خان الحويزة ، كما اشرنا من قبل ، والرسالة صادرة عن الاول ، ويجعل لوكهارت تاريخ هذه الرسالة في ١٦ تموز ١٧٤٢ ولكنه يشير الى ارسال رسالتين لا واحدة ، والذي نراه ان تكون الرسالة الثانية هي رسالة امير الحويزة المرقمة (٣ في مجموعة الوثائق هذه) وقد جرى ارسالها بعد اكثر من اسبوعين .

(٦٦) هذا النص موجود في الاصل وهو لجامع الوثائق .

(٦٧) في الاصل : الابديين .

(٦٨) هذا النص مثبت في الاصل .

(٦٩) يريد السلطان العثماني محمود الاول ، وقد تولى السلطنة من سنة ١٧٣٠ الى سنة ١٧٥٤ (١١٤٣ ـ ١١٦٨هـ) .

(٧٠) في الاصل : ايدها .

(٧١) البقرة : اية ٤٤ .

(٧٢) في الاصل : الاختلال .

(٧٣) آل عمران : اية ١٢٦ .

(٧٤) الانبيا : ١٠٥ .

(٧٥) هذا النص مثبت في الاصل .

(٧٦) في الاصل : انشاء .

(٧٧) الذاريات : اية ٥٥ .

(٧٨) في الاصل : الطاهرة .

(٧٩) اشارة الى قوله تعالى في (آل عمران ، اية ٢٥) « قل اللهم مالكالملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير » .

(٨٠) يريد السردار خواجة (او فوجة) خان قائد الجيش .

(٨١) في الاصل (معادات) .

(٨٢) في الاصل (سهل) .

(٨٣) في الاصل : الدوة ، وسترد لفظة الدورة في موضع آخر من هذه الرسالة .

(٨٤) لعل الصواب : في .

(٨٥) في الاصل : الاختصار .

(٨٦) في الاصل فيجيب .

(٨٧) في الاصل : وقادة .

(٨٨) في الاصل : لهذا .

(٨٩) في الاصل : وكثر .

(٩٠) لعل الاصح : تفو .

(٩١) بلاد الروم اصطلاح كان يقصد به بلاد الترك ، والمقصود به هنا البلاد العثمانية عموما .

(٩٢) في الاصل : شرعية .

(٩٣) اشارة الى سورة الحجر ـ اية ٤٦ .

(٩٤) سورة الحشر ـ اية ١٤ .

(٩٥) سورة المدثر ـ اية ٥١ .

(٩٦) كذا في الاصل ، ولعل الصواب : رؤي ما الذنهم الا هواء .

(٩٧) يريد السلطان العثماني .

(٩٨) في الاصل ـ ليس ، وهو يخل المعنى .

(٩٩) تكررت (لوطيء الاعقاب) بعد هذه العبارة في الاصل .

(١٠٠) في الاصل : وبقي .

(١٠١) في الاصل : تقتلية ، مدفعة .

(١٠٢) العبارة بين قوسين وردت في الاصل ، مع انه ليس في سياق الكلام اي انقطاع .

(١٠٣) لعل الصواب : ولا تتركونهم سدى .

(١٠٤) في الاصل يحمي .

(١٠٥) يريد هوى .

(١٠٦) في الاصل : في .

(١٠٨) الجنخانة لفظة فارسية بمعنى (مخزن السلاح) .

(١٠٩) في الاصل : وامنا .

(١١٠) البقرة : آية ١٩٠ و ٢٤٤ ، وال عمران ١٦٦ .

(١١١) القلة لفظة تركية من اصل فارسي من كولة وكلولة وهي كرة وكل شيء كروي ، والمقصود بها اطلاقات المدافع القديمة .

المصادر

اولا ـ المخطوطات

١ ـ الرحبي ، محمود بن عثمان : بهجة الاخوان في ذكر الوزير سليمان . مخطوطة كمبردج المصورة في المجمع العلمي العراقي .

٢ ـ سليمان قانق بن طالب كهية ـ حروب الايرانيين في

العـــراق . عربه عن التركية محمد خلوصي الناصـري التكريتي . مخطوطة مصورة في خزانتنا .
٣ ـ السويدي ، عبدالرحمن : حديقة الوزراء في سـيرة الوزراء . مخطوطة المتحف العراقـي .
٤ ـ عثمان بن سند : مطالع السعود باخبار اعظـم الوزراء واعلمهم داود . مخطوط في المتحف العراقـي .
٥ ـ العمري ، ياسين بن خيرالله : الدر المكنون في المآثـر الماضية من القرون نسخة المكتبة الوطنية في باريـس المصورة في المجمع العلمـي العراقـي .
٦ ـ العمري ، ياسين : قرة العين في تراجم الحسن والحسين .
٧ ـ متفرقة ، ابراهيم : تاريخ نادرشاه . مخطوط بالتركيـة في مكتبة جامعة القاهـرة .

ثانيا المطبوعـــات

ا ـ الكتـب العربيـــة :

٨ ـ جاكسون : مشاهدات بريطاني عن العـراق سـنة ١٧٦٧ ، ترجمة سليم طه التكريتي ـ بغداد ، دون تاريخ .
٩ ـ الحلو ، علي نعمة : الاحواز ـ عربسـتان ، الجـزء الاول ـ بغـداد ـ ١٩٦٩ .
١٠ـ الحلواني ، محمد امين : خمسة وخمسون عاما من تاريخ العراق ١١٨٨ ـ ١٢٤٢هـ . وهو مختصر مطالع السـعود لابن سند القاهـرة ١٢٧١هـ .
١٢ـ الحيدري : عنوان المجد في بيان احوال بغـداد والبصرة ونجـد . بغـداد دون تاريخ .
١٣ـ زامباور : معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريـخ الاسلامي ـ القاهـرة ١٩٥١ .
١٤ـ زكي ، محمد امين : خلاصة تاريخ الكردوكردسـتان ـ القاهـرة ـ ١٩٦١ .
١٥ـ شبر ، جاسم حسن : تاريـخ المشعشعيين وتراجـم اعلامهم ـ النجف ١٩٦٥ .
١٦ـ الصائغ ، سليمان : تاريخ الموصل ـ الجزء الاول ١٩٢٨
١٧ـ عبدالامير محمد امين : القوى البحرية في الخليج العربـي في القرن الثامن عشر ـ بغداد ١٩٦٦ .
١٨ـ العزاوي ، عباس : تاريخ العراق بين احتلالين ، الجزء الخامس ـ بغـداد ١٩٥٤ .
١٩ـ عماد عبدالسلام رؤوف : الموصل في العهد العثمانـي ، فترة الحكم المحلي النجف ١٩٧٥ .
٢٠ـ العمري ، امين : منهل الاوليـاء ـ بتحقيق سـعيد الديوه‌جي ـ الموصل ١٩٦٧ .
٢١ـ العمري : منبـة الادباء في تاريخ الموصل الحدبـاء . بتحقيق سـعيد الديوه‌جي ـ الموصل ١٩٥٦ .
٢٢ـ العمري : غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام بغـداد ١٩٦٨ .
٢٣ـ العمري : زبدة الآثار الجلية في الحوادث الارضيـة ، بتحقيق عماد عبدالسلام رؤوف ـ النجف ١٩٧٠
٢٤ـ الكبيسي ، فتح الله : زاد المسافر ولهنة القلب والخاطر ـ بغـداد ١٩٥٨ .
٢٥ـ الكركوكلي ، رسول حاوي : دوحة الوزراء في تاريـخ وقائع بغداد الزوراء (عربه عن التركية كاظم نورس ـ بيروت ، دون تاريخ) .
٢٦ـ لونكريك ، ستيفن همسلي ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث بيروت ـ الطبعة الخامسـة .
٢٧ـ ليسترنج ، كي : بلدان الخلافة الشرقية ـ ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ـ بغداد ١٩٥٤ .
٢٨ـ مجهول : تاريخ امارة كعب العربية في القبان والدورق ـ الفلاحية تحقيق وتعليق علي نعمة الحلو ـ النجف ١٩٦٨
٢٩ـ مجهول : روضة الاخبار في ذكر الافراد الاخبار . مخطوطة المتحف البريطاني المصورة في خزانتنا .
٣٠ـ المكي ، عباس بن علي : نزهة الجليس ومنية الاديـب الانيس ـ النجف ١٩٦٧ .
٣١ـ نظمي زادة ، مرتضى : كلش خلفا . عربه عن التركيـة موسى كاظم نورس النجف ـ ١٩٧١ .

ب ـ الكتب التركيـة والفارسـية

٣٢ـ الاسترابادي ، محمد مهدي خان : دره نادره . حجـر ايـران .
٣٣ـ الاسترابادي : جهانكشاي نادري ـ طهران ١٢٤١هـ.ش .
٣٤ـ جلبي زادة : تاريخ جلبي زادة ـ استانبول ١١٥٢هـ .
٣٥ـ صبحي : تاريخ صبحي ـ استانبول ١١٩٨هـ .
٣٦ـ عزي : تاريخ عزي ـ استانبول ١١٩٩هـ .
٣٧ـ كاتب جلبي : تقويم التواريخ ـ استانبول ١١٤٦هـ .
٣٨ـ كسروي تبريزي : تاريـخ بانصد سالة خوزسـتان ـ طهران ١٣١٢هـ .
٣٩ـ المدرس ، محمد سعيد : كلشـن معارف ـ اسـتانبول ١٩٥٢هـ .
٤٠ـ ولايـة البصرة : سالنامة ولاية البصرة سنة ١٣٠٩هـ .

ج ـ الكتب الاوربيـــــة :

41- Della Valla, P.: The Travels of Sig. Petro Della Valla (London 1665).
42- Hammer, J: Histoire de L'Empire Ottoman Paris 1943).
43- Hawel, T. : Voyage en Retour de L'Inde (Paris 1788).
44- Ives : A Voyage from England to India (London 1760).
45- Jones' W.: Nadir Shah (London 1773).
46- Lockhart, L. : Nadir Shah (London 1938).
47- Lockhart, L. : Famous Cities of Iran (London 1939).
48- Lorimer, J. G. : Gazetteer of the Persian Gulf, 'Oman and Central Arabia (Calcutta 1915).
49- Malcolm, J. : History of Persia (London 1829).
50- Niebuhr, K. : Voyage en Arabia (Paris 1776).
51- Otter, M. : Voyaage en Turquie et en Perse (Paris 1743).
52- Texira, P.: The Travels of Pedro Texeira (London 1902).
53- Zwemer, S.M.: Arabia The Cradle of Islam(London 1900).
54- Islam Ansiklopedisi (Istanbul 1945).